

Interpretation of the Qur'an in the Qur'an when Fakhr AL-Din AL-Razi (606 AH)

Hassan Rashid Adiatu

PhD researcher at Mohammed V University in Rabat, Morocco. Imam Masjid Bukhari Blacklick, Ohio. Behavioral Health Counselor at Zenith Academy School, Columbus Ohio. American

hasan@adiatu.com

تفسير مفردات القرآن بالقرآن عند فخر الدين الرازي (606هـ)

حسن رشيد أدياتو

باحث دكتوراه في جامعة محمد الخامس بالرباط - المغرب، و إمام مسجد بخاري بلاكليك، أوهايو، مستشار الصحة السلوكية في مدرسة زينيث أكاديمي، كولومبوس أوهايو الأمريكية

hasan@adiatu.com

Received: 6-10-2025

Accepted: 11-10-2025

تاريخ الاستلام: 6-10-2025 تاريخ القبول: 11-10-2025

DOI: <https://doi.org/10.48185/sjhss.v1i4.1873>

ISSN (online): 3080-1648

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان مفردات القرآن بالقرآن عند فخر الدين الرازي 606هـ في كتابه (مفاتيح الغيب)؛ وذلك لما يتميز به من مادة علمية كثيرة الفوائد، تتعلق بوجوه تفسير القرآن بالقرآن. إضافة إلى ما قد يسهم به هذا البحث من قيمة علمية تعين القارئ على فهم تفسير القرآن بالقرآن، ومعرفة طرقه ووجوهه؛ وذلك من خلال إيراد نماذج وأمثلة قرآنية ذكرها فخر الدين الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب). اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع عدد لا بأس به من مسائل تفسير القرآن بالقرآن المبنوثة في تفسير فخر الدين الرازي؛ لتسهيل الاستفادة منها؛ إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي لتلك المسائل.

خلص البحث إلى نتائج عديدة، كان أبرزها: أن فخر الدين آية في تفسير القرآن بالقرآن؛ فقد بدا هذا بوضوح في وجوه تفسير القرآن بالقرآن المختارة التي لا تعد إلا غيضاً من فيض ما أعمل في تفسيره. وأن تفسير القرآن بالقرآن قد ظهر في العهد النبوي؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعمل هذا الأصل؛ فلذلك تعد كتب السنة مصدراً من مصادر تفسير القرآن بالقرآن. الكلمات المفتاحية: التفسير، المفردة القرآنية، القرآن الكريم، فخر الدين الرازي.

Abstract

The research aims to explain the interpretation of the Quranic words in the Quran according to Fakhr al-Din al-Razi 606 in his book (Mafaateeh- Al-Gaib) This is due to the fact that the Qur'an has many scientific benefits. In addition to the scientific value that this research may contribute to help the reader to understand the interpretation of the Qur'an and know its ways and aspects. This is through the inclusion of Quranic models and examples mentioned by Fakhr al-Din al-Razi in his interpretation (Mafaateeh- Al-Gaib). The research was based on the inductive method of collecting a good number of questions of interpretation of the Qur'an in the interpretation of Fakhr al-Din al-Razi To facilitate their utilization In addition to the descriptive and analytical approach to those issues.

It becomes clear from these selected samples that Fakhr al-Din al-Razi Is genius when it comes to interpretation of the Qur'an, which is only the tip of the iceberg of what he he displayed in his book. The knowledge of the Qur'an is revealed in the Prophet's time Because the Prophet (may Allah's peace and blessings be upon him) used the Quran to interpret the Quran.

Keywords: Interpretation, Qur'anic words, Holy Qur'an, Fakhr al-Din Al-Razi

للاقتباس: أدياتو، حسن رشيد. (2025). تفسير مفردات القرآن بالقرآن عند فخر الدين الرازي (606هـ). مجلة سبأ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 1، ع(4): 125-153

Cite this article as: Adiatu, Hassan Rashid. (2025). Interpretation of the Qur'an in the Qur'an when Fakhr al-Din al-Razi (606 AH)). Saba Journal of Humanities and Social Sciences Volume 1, Issue (4), Pages: 125-153

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن القرآن كتاب مبارك أنزله ربنا ليكون مرشداً ومسعداً، ويكفيه شرفاً أن الإنسان يشقى على قدر إهماله له، ويسعد على قدر اهتمامه به، قال تعالى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: آية 1]. ومن نعم الله على عباده أن جعل طرق الاتصال بالقرآن الكريم متنوع، وسبل خدمته متعددة، وقد تشرف بخدمته علماء هذه الأمة وأعلامها؛ فأصبح ما يرث اللاحق من السابق ما لا يحصى عدداً ولا يعد عدداً، وبقي ميدان التنافس في خدمة القرآن وعطاءاته المتجددة مفتوحاً إلى قيام الساعة.

إن من كتب التفسير التي خدمت القرآن الكريم في مجالات كثيرة تفسير (مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي 606هـ)، وقد وجدت فيه مواد علمية، تتعلق بوجوه تفسير القرآن بالقرآن، ولكثرة فوائدها، وتميز محتواها رأيت أن أفرد ذلك بالبحث والدراسة؛ تحت عنوان: (تفسير مفردات القرآن بالقرآن عند فخر الدين الرازي 606هـ).

أهمية موضوع البحث

تنبع أهمية موضوع البحث من كوننا نتعامل في دراسة موضوعه مع أفضل كتاب أنزله الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم- وجعله مصدر هداية ورحمة وشفاء وموعظة؛ فقيمة تفسير القرآن بالقرآن، وأهميته تتجلى فيما يعنى به، وما يتعلق به؛ فمدار هذا العلم مفسراً ومفسراً على القرآن الكريم، وهو بهذا الاعتبار يعد أفضل أنواع تفسير القرآن. ومن تلك الأهمية جاء اختياري لموضوع البحث هذا؛ وذلك للأسباب العلمية الآتية:

- 1- اكتساب شرف خدمة كتاب الله من جهة دراسة ما يدعم معناه دراسة تأصيلية.
- 2- إبراز بعض الجوانب المتصلة بتفسير القرآن بالقرآن التي أبدع فيها فخر الدين الرازي في تفسيره.
- 3- الإسهام فيما يعين على فهم تفسير القرآن بالقرآن، وعلى معرفة طرقه ووجوهه من خلال النماذج التي ذكرها فخر الدين في تفسيره.
- 4- جمع عدد لا بأس به من مسائل تفسير القرآن بالقرآن المثبوتة في تفسير فخر الدين الرازي؛ لتسهيل الاستفادة منها.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية هذا البحث في التساؤلات الرئيسة الآتية:

- 1- ما أهمية تفسير القرآن بالقرآن وما المراد به عند الإمام فخر الدين الرازي؟
- 2- ما اتجاهات تفسير القرآن بالقرآن وما حججه؟
- 3- ما مصادر تفسير القرآن بالقرآن وما وجوهه؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

- 1- تعريف تفسير القرآن بالقرآن من خلال أقوال فخر الدين الرازي.
- 2- بيان أهمية تفسير القرآن بالقرآن واتجاهاته، ومصادره.
- 3- دراسة بعض مسائل تفسير القرآن بالقرآن التي اعتمدها الرازي في تفسيره للقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات تفسير الرازي من حيث الجوانب المنهجية والأصولية والقواعدية والبلاغية والعقدية والفلسفية، إلا أنه لم يوجد - على حسب علمي القاصر - بحث مستقل يختص بتفسير القرآن بالقرآن في (مفاتيح الغيب). ولكننا سنورد بعض الدراسات التي وقفت على تلك الجوانب المنهجية والأصولية والقواعدية والبلاغية والعقدية والفلسفية في تفسير الرازي، والتي تتعد في موضوعاتها ومضامينها عن موضوع البحث الحالي، وأبرز تلك الدراسات ما يأتي:

1. التفسير العلمي عند الرازي (المائدة إلى الأنعام) لسالم عادل عبد الله طه، (رسالة ماجستير)، جامعة أم درمان بالسودان (2007)، وهي دراسة تناولت لب منهج الرازي في تفسير الآيات العلمية.
2. منهج الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره للدكتور عادل محمد صالح أبي العلا، مجلة القراءة والمعرفة بمصر (2009م - 1430هـ)، وهذا الكتاب تناول تفسير فخر الدين بالدراسة والتحليل والنقد من خلال ذكر مصادره، وما تقيد به في بيان القرآن الكريم، وما له وما عليه.
3. دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي دراسة نظرية تطبيقية للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دار التدمرية (1431 هـ - 2010م)، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه، تناول فيها الباحث ترجيحات الرازي.
4. آراء الإمام الرازي الأصولية بين المحصول والتفسير لحسن شيخ عباس الكاف بإشراف أ.د. عبد الحمود بلال منير، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان (2011)، وهي عبارة عن تحليل مقارن لآراء الرازي في أصول الفقه بين تفسيره (مفاتيح الغيب)، وبين كتابه لأصول الفقه (المحصول).
5. السمعيات عند الإمام الرازي المتوفى سنة (606هـ) من خلال تفسيره (مفاتيح الغيب) دراسة موضوعية تحليلية لأحمد محمد جمعة إسماعيل أبي عمارة، (رسالة دكتوراه)، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كليات الدراسات العليا في أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة الإسلامية بعمان الأردن (2011).
6. الاستنباط عند الإمام الفخر الرازي من خلال تفسيره (مفاتيح الغيب) (دراسة نظرية تطبيقية) لعبد الله معايل آل حاضرقحطاني، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية (2014)، وهي عبارة عن بحث موضوعي في طريقة الاستنباط العقلي والشرعي عند الرازي، مستندا إلى تفسيره لما ورد في (مفاتيح الغيب).
7. اختيارات الإمام الرازي في التفسير لعبد الله علي النشمي، (رسالة ماجستير)، جامعة القرآن الكريم بالسودان (2015)، وهي دراسة وصفية تحليلية لاختيارات الرازي من الأنفال إلى هود مع نتائج حول اجتهاده وترجيحه.

8. قواعد التفسير عند الإمام فخر الدين الرازي من خلال تفسيره (مفاتيح الغيب) لفهد بن هود بن سعيد ميقا، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية (2017)، وهي عبارة عن عرض منهج الرازي في قواعد التفسير بما يشمل القواعد اللغوية والأصولية والمنهجية.
9. استنباط الأحكام من سورة الحجرات للإمام فخر الدين الرازي في تفسيره (التفسير الكبير) جمعا ودراسة لأحمد مفتاح الرزق بيهقي، رسالة ماجستير، بإشراف د. رسلي حسي، في تخصص الشريعة الإسلامية، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكارتا (2019م 1440هـ).
10. منهج الرازي في القول بالمجاز في تفسيره (مفاتيح الغيب) لأحمد عبد الحميد مُجَدُّ أحمد، مقالة، جامعة الأزهر (قسم فنا) بمصر 2021م، وهي عبارة عن مقالة تتناول موقف الرازي من ظاهرة المجاز ضمن الإعجاز البلاغي القرآني مع أمثلة تحليلية من كتابه.
11. المناسبات وأثرها في استنباط معاني القرآن بين الإمامين الفخر الرازي والألوسي: دراسة موازنة في سورتي "المائدة والأنعام"، لإسماعيل شاذلي عشري عبد القادر، رسالة ماجستير، بإشراف د. يوسف مُجَدُّ عثمان ود. عمر صفاء عبد الرحيم برعي، جامعة سوهاج كلية الآداب بمصر (2022م)، وهي دراسة موازنة لعلم المناسبات وأثرها في استنباط معاني القرآن بين تفسير فخر الدين وبين تفسير الألوسي في سورتي المائدة والأنعام.
12. المقولات الفلسفية وعرضها في (مفاتيح الغيب) دراسة تطبيقية لسامي مُجَدُّ فايد السودان، رسالة علمية، جامعة المنوفية بمصر (2024)، وهي عبارة عن استكشاف معمق للخلفية الكلامية والفلسفية عند الرازي، وموقفه من المقولات العشر.
13. التلقي النقدي لصناعة التفسير عند الفخر الرازي مسوغات النقد ودوافعه لمحمد عبيدة، بحث منشور في مركز تفسير للدراسات القرآنية بالمملكة العربية السعودية، وهذا البحث ركز على مسوغات ما تعرض له تفسير فخر الدين الرازي من النقد ودوافعه.

منهج البحث وخطته

اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي في جمع عدد لا بأس به من مسائل تفسير القرآن بالقرآن المبثوثة في تفسير فخر الدين الرازي؛ لتسهيل الاستفادة منها؛ إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي لتلك المسائل. وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث أن يكون في مبحثين، ومقدمة. تناولت في المبحث الأول مقدمات في تفسير القرآن بالقرآن في خمسة مطالب، كان أولها لبيان أهمية تفسير القرآن بالقرآن، وثانيها لتعريف تفسير القرآن بالقرآن، وأفردت ثالثها للذكر اتجاهات تفسير القرآن بالقرآن، ورابعها للحدوث عن بيان حجية تفسير القرآن بالقرآن، وخامسها لمصادر تفسير القرآن بالقرآن. أما المبحث الثاني فخصصته لتفسير مفردات القرآن بالقرآن في ستة مطالب. جعلت أولها لتفسير مفردة بمفردة، وثانيها لتفسير مفردة حسب سياقها، وخصصت ثالثها لتفسير مفردة بآية، ورابعها لتفسير مفردة حسب سياقها الكلية في القرآن كاملاً، وجعلت خامسها لتفسير المفردة ببيان معانيها المحتملة وشواهداها من القرآن، وأفردت سادسها لتفسير مفردات القرآن بالقراءات. وختمت البحث بخاتمة، تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث. والله وحده أسأل أن ينفع بهذا العمل العباد، وأن يتقبله مباركا، ويجعله خالصا لوجهه الكريم؛ إنه قريب مجيب الدعوات.

المبحث الأول: مقدمات في تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الأول: أهمية تفسير القرآن بالقرآن

إن ماهية عملية تفسير القرآن بالقرآن تدل على أهميته؛ فما هو إلا بيان نص قرآني بنص قرآني، أحدهما مفسر، والآخر مفسر. ولعلي أوجز أمورا تدل على أهميته مع أدلتها في النقاط الآتية:

1- أن الله الذي أنزل القرآن أراد له أن يفسر بعضه بعضا، وأخذ على نفسه بيان القرآن بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُسَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 105]. في هذه الآية الكريمة قال الرازي: أخبر الله بأنه يقرر أدلة تثبت النبوت، كما فعل في شأن الإلهيات حالا فحالا؛ فيوقع هذا التصريف الشبهة في قلوب الكافرين؛ فيقابلون هذا البيان المتواتر بإنكار القرآن والرسول، معلين اعتراضهم عليه بتعلم النبي -ﷺ- من الذين أوتوا الكتاب؛ فاهتدى بذلك المؤمنون، وضل به الكافرون.¹ فإثبات الإلهيات والنبوت بالآيات التي يفصل بعضها بعضا في مواضع عديدة من القرآن الكريم ليس إلا تفسير القرآن بالقرآن.

2- أن القرآن بطبيعته يتوقف إدراك فهم بعضه على بعض. قال الشاطبي رحمه الله: "يتوقف فهم بعضه (يعني القرآن) على بعض بوجه ما، وذلك أنه يبين بعضه بعضا؛ حتى إن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى".²

3- أن النبي الذي أنزل الله عليه القرآن مكلف ببيانه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 4]. وهذا البيان بيان القرآن بالقرآن وبسننه ﷺ. ومن هذا النوع من البيان النبوي ما روي عن عبد الله بن مسعود قال: "لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينما لم يظلم؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]."³

4- أن هذا النوع من التفسير أول طرق تفسير القرآن، وأقربها إلى الصواب، وأفضلها، وقد قال الرازي بعد أن رجع معنى آية على الآخر محتجا بالآية: "لأن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب والله أعلم".⁴ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؛ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر".⁵

¹ انظر: مفاتيح الغيب، (13/ 107-105) لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي خطيب الرازي (ت 606هـ)، (ط3)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

² الموافقات (4/ 275)، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط1)، دار ابن عفان.

³ أخرجه البخاري (1/ 15)، صحيح البخاري، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، جماعة من العلماء، (ط السلطانية)، دار طوق النجاة - بيروت.

⁴ مفاتيح الغيب (10/ 35)

⁵ مقدمة في أصول التفسير (ص39)، لتقي الدين ابن تيمية (ت 728هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. والتبيان في أيمان القرآن، (278/1)، لابن قيم (ت751هـ)، تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، دار عطاءات العلم.

المطلب الثاني: تعريف تفسير القرآن بالقرآن

التفسير من فسر يفسر تفسيراً مفسراً، والفسر من فسر، وهو البيان، وهو مثل التفسير. وقد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسرًا. والفسر أو التفسر: البول الذي ينظر فيه الطبيب، ويستدل بلونه على ما يبطن المريض من المرض، وعلى علته¹. ومعنى التفسير عند فخر الدين الرازي هو التأويل؛ فلذلك حمل معنى التأويل على التفسير، ومعنى التفسير على التأويل وقال في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغَاءَ تَأْوِيلَهُ﴾ [آل عمران: 7]: "فاعلم أن التأويل هو التفسير، وأصله في اللغة المرجع والمصير، من قولك آل الأمر إلى كذا إذا صار إليه، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه، هذا معنى التأويل في اللغة، ثم يسمى التفسير تأويلاً، قال تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]؛ وذلك أنه إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى، وأعلم أن المراد منه أنهم يطلبون التأويل الذي ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان، مثل طلبهم أن الساعة متى تقوم؟². وبناء على هذا يكون تفسير القرآن بالقرآن عنده - والله أعلم - عملية الكشف عن مراد الله بالقرآن، وبما تقتضيه ألفاظه بالقرآن وألفاظه.

المطلب الثالث: اتجاهات تفسير القرآن بالقرآن

تعددت طرق تفسير القرآن واتجاهاته، لكنني سأجمل هذه الاتجاهات في نقاط ثلاث على النحو الآتي:

- 1- الاتجاه النقلي: والمقصود به هو ما كان اعتماد المفسر في بيانه للقرآن بالقرآن على الكتاب والسنة، وآثار مروية عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.
- 2- الاتجاه اللغوي: والمقصود به ما اعتمد فيه المفسر على كلام العرب، كأن يفسر لفظة بلفظة مترادفها أو تقاربها في المعنى أو الأسلوب، وعلى النحو، والصرف وعلم الاشتقاق، وعلوم البلاغة.
- 3- الاتجاه الأصولي: والمقصود به ما اعتمد فيه المفسر على أبحاث أصول الفقه، مثل: تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، وبيان المبهم.

¹ انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (781/2)، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (ط4)، دار العلم للملايين - بيروت. ولسان العرب (55/5) لمحمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ)، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، (ط3)، دار صادر - بيروت، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (511) لأبي البقاء أيوب بن موسى القريني، الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق عدنان درويش ومجد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

² المحصول (80/1-81)، لفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، (ط3)، مؤسسة الرسالة.

المطلب الرابع: حجية تفسير القرآن بالقرآن

إن تفسير القرآن بالقرآن يعد أقوى أنواع التفسير وأصحها وأبلغها¹؛ لأنه من باب تفسير النص القرآني بالنص القرآني، ويتميز هذا التفسير بأمر، هي:

1: أن المتكفل بجمع القرآن وتيسير أدائه، وبيان معناه هو الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾² [القيامة: 16-19]، والشاهد أن بيان الله للقرآن لا يكون إلا بالقرآن.

2: أن النبي ﷺ كان يفسر معاني القرآن بالقرآن. ومن الأمثلة على ذلك: ما روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله أين لا يظلم نفسه قال: ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾³.

3: أن الأمة أجمعت على أن القرآن يفسر بالقرآن بقراءاته والمعاني التي تدل عليها. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مقررًا سببا من أسباب تأليف كتابه: "الإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية."⁴

المطلب الخامس: مصادر تفسير القرآن بالقرآن

تنوعت مصادر تفسير القرآن بالقرآن، وسأذكر أهمها في هذا البحث على حسب درجاتها على النحو الآتي:

المصدر الأول: كتب السنة؛ وذلك لأن تفسير القرآن عموماً بدأ في العهد النبوي، وتفسير القرآن بالقرآن خصوصاً، وقد روي عن النبي ﷺ بعض الأحاديث التي تحتوي على هذا النوع. ومن الأمثلة على ذلك:

1. ما روي عن عبد الله بن مسعود في تفسير الظلم بالشرك، وقد أشرت إلى ذلك من قبل⁵. وقد سلك الرازي مسلك تفسير القرآن بالقرآن، وأوجب سلوكه؛ فقال بعد أن درس سياق هذه الآية: "فالمراد هاهنا الذين آمنوا بالله ولم يشبوا لله شريكاً في المعبودية، والدليل على أن هذا هو المراد أن هذه القصة من أولها إلى آخرها إنما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد، وليس فيها ذكر الطاعات والعبادات، فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك."⁶

2. ما روي عن أبي سعيد بن الملعلي أن النبي ﷺ قال: "لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الحمد

¹ انظر، مقدمة في أصول التفسير (ص39)، والتبيان في إيمان القرآن (1/ 278)

² انظر تفسير ابن كثير (278/8)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، (ط2)، دار طيبة، الرياض.

³ أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 141) (3360).

⁴ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 8)، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم - دار ابن حزم.

⁵ أخرجه البخاري (1/ 15)

⁶ مفاتيح الغيب (13/49).

لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته¹. وقد ذكر فخر الدين الرازي أقوالاً، وبعد أن أورد هذا الحديث قال: "وهو قول أكثر المفسرين: إنه فاتحة الكتاب، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة"². وفي هذا تفسير لسورة الفاتحة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

المصدر الثاني: تفسير الصحابة. فمن الصحابة رضوان الله عليهم جاءنا هذا الدين؛ لأنهم تعلموا من النبي -ﷺ- وعاشوا التنزيل، وفهموا اللغة العربية فهما أهلهم لنقل فهم كتاب الله إلينا. وقد روي عنهم الشيء الكثير من تفسير القرآن بالقرآن، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

1. حمل أبو بكر لفظ الصادقين في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119] على المهاجرين، فقال: إن الله سمنا يوم السقيفة الصادقين، فقال: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" [الحشر: 8] ثم سماهم بالمفلحين فقال: "﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: 9]".³

2. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124] "لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم؛ ابتلاه الله بكلمات فأتمهن، قال: فكتب الله له البراءة، فقال: ﴿وإبراهيم الذي وثق﴾ [النجم: 37]"⁴.

المصدر الثالث: تفسير التابعين. إذ يوجد في تفسير التابعين كثير من تفسير القرآن بالقرآن، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

1. رَتَقًا لَا يَخْرُجُ مِنْهُمَا شَيْءٌ، فَفَتَقَ السَّمَاءَ لِلْمَطَرِ، وَفَتَقَ الْأَرْضَ لِلنَّبَاتِ. قال: وهو قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ (11) وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّدْعِ^{5 6}.

2. عن مجاهد في قوله: ﴿كَأَلَا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁷. قال: الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشى الذنوب عليه. قال مجاهد: وهي مثل الآية التي في سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مِنْ كَسْبٍ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^{8 9}.

¹ أخرجه البخاري (17/6)

² مفاتيح الغيب (159/19)

³ الجامع لأحكام القرآن (8/288-289)، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط2)، دار الكتب المصرية - القاهرة.

⁴ انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (16/257-258)، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، دار التريّة والتراث - مكة المكرمة.

⁵ (سورة الطارق: آية 11-12)

⁶ تفسير الطبري (16/257-258).

⁷ (سورة المطففين: آية 14)

⁸ (سورة البقرة: آية 81)

⁹ تفسير الطبري (24/204).

3 . قال مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ "يعني مستكينين، وخفية يعني في خفض وسكون، كقوله: ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهِ﴾ يعني تسربها".¹

المصدر الرابع: كتب التفسير. إن من مظان تفسير القرآن بالقرآن كتب التفسير؛ لأن أغلب هذه الكتب تطرق إلى هذا النوع من أنواع تفسير القرآن قلة وكثرة. إذا تحرر هذا فلا نعجب إذا وجدنا في كتب متخصصة في تفسير القرآن باللغة حضوراً لتفسير القرآن بالقرآن. وأبو عبيدة مثلاً قال في قول الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَأَنتُمْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾² العرب تقتصر على أحد هذين الاسمين، ثم قال: وفي القرآن مما جعل معناه على الأول قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾^{3 4}، ولا شك أن هذا من تفسير القرآن بالقرآن؛ لأن الأسلوب هو الرابط بين الآيتين. قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿نَمْلِي لَهُمْ﴾⁵ أي نطيل لهم. يعني الإمهال والنظرة. ومنه قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^{6 7}، وفي هذا تفسير مفردة قرآنية بمفردة قرآنية. قال ابن قتيبة أيضاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَصِمَ الْيَوْمَ﴾⁸ "لا معصوم اليوم" من أمر الله إلا من رحم⁹، ومثله: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾¹⁰ بمعنى مدفوق¹¹. وفي هذا قرر أن الفاعل يدل على المفعول، وذكر آية تشبهها من حيث الأسلوب. ولا يخلو كل هذا من تفسير القرآن بالقرآن. لكنني أود ذكر جملة من المفسرين جعلوا تفسير القرآن بالقرآن موضوعهم وغايتهم؛ لأن ذلك المقصود الأول، والمرجع الأساس في هذا الباب، وهم كالاتي:

1. تفسير الإمام الطبري؛ فهذا الكتاب من أهم مصادر تفسير القرآن، واشتمل على عدد هائل من تفسير القرآن بالقرآن. ومن الأمثلة على ذلك ما قال في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾¹²: "والذي يدل عليه كتاب الله ثناؤه أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر جل ذكره عنه أنه قالها متنصلاً بقليلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾".¹³ وليس ما قاله من خالف قولنا هذا- من الأقوال التي حكيناها- بمدفوع قوله، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها.¹⁴

¹ تفسير مقاتل بن سليمان (41/2)، لمقاتل بن سليمان الأزدي (ت 150هـ) تحقيق عبد الله محمود شحاته، (ط1)، دار إحياء التراث- بيروت.

² (سورة الجمعة: آية 11)

³ (سورة البقرة: آية 45)

⁴ انظر: مجاز القرآن (1/39)، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ)، تحقيق محمد فواد سكين، مكتبة الخانجي - القاهرة.

⁵ (سورة آل عمران: آية 178)

⁶ (سورة مريم: آية 46)

⁷ غريب القرآن (ص116)، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية.

⁸ (سورة هود: آية 43)

⁹ (المصدر السابق: آية 43)

¹⁰ (سورة الطارق: آية 6)

¹¹ غريب القرآن (ص204)

¹² (سورة البقرة: آية 33)

¹³ (سورة الأعراف: آية 23)

¹⁴ تفسير الطبري (586/1).

2. عني الثعلبي في تفسيره بتفسير القرآن بالقرآن؛ فلذلك يلاحظ فيه حضور القدر الكبير من هذا النوع ومن الأمثلة على ذلك ما قال في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾¹: "يعني طريق الذين مننت عليهم بالتوفيق والرعاية والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾"^{2 3}
3. إن ابن كثير من أكثر المفسرين اهتماما بتفسير القرآن بالقرآن، وبأن ذلك جليا في أقواله؛ فقد قال: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ الجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر"⁴. ومن الأمثلة على ذلك في تفسيره ما قال في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾⁵، "قلت: أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن، والمراد به ذلك، كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾"⁶ وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾"⁷، وكذلك إذا استعمل مقرونا مع الأعمال، كقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾"⁸، فأما إذا استعمل مطلقا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا"⁹.

المبحث الثاني: تفسير مفردات القرآن بالقرآن

المطلب الأول: تفسير مفردة بمفردة

وجد الرازي رحمه الله لمفردات القرآن مفردات قرآنية شبيهة لها أو موضحة لها أكثر أو قريبة منها من حيث المعنى استعان بها في التفسير. ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

المثال الأول:

فسر الرازي مفردة العبد في قوله تعالى: ﴿سَبِّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ بمجموع الروح والجسد، وكان معتمده قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾⁽¹⁰⁾، ثم قال: "ولا شك أن المراد من العبد هاهنا مجموع الروح والجسد."

¹ (سورة الفاتحة: آية 7)

² (سورة النساء: آية 69)

³ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (456/2)، لأحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت 427 هـ)، تحقيق عدد من الباحثين، (ط1)، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية.

⁴ تفسير ابن كثير (7/1).

⁵ (سورة البقرة: آية 3)

⁶ (سورة التوبة: آية 61)

⁷ (سورة يوسف: آية 17)

⁸ (سورة الانشقاق: آية 25، والتين: 6)

⁹ تفسير ابن كثير (165/1)،

¹⁰ سورة العلق، 9، 10.

أيضا في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾⁽¹⁾، والمراد بمجموع الروح والجسد، فكذا هاهنا⁽²⁾. وهذا التفسير وضح المراد؛ إذ لا يتصور وجود عبد يصلي ويدعو وهو متجرد عن الروح والجسد.

المثال الثاني:

فسر الرازي مفردة الفتنة في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽³⁾ بالمفتون بحجة جواز إطلاق لفظ المصدر على المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، والتكوين بمعنى المكون، ثم قال: "والمعنى: لا تجعلنا مفتونين، أي لا تمكنهم من أن يحملونا بالظلم والقهر على أن ننصرف عن هذا الدين الحق الذي قبلناه، وهذا التأويل متأكد بما ذكره الله تعالى قبل هذه الآية، وهو قوله: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾^{(4) (5)}.

المثال الثالث:

فسر الرازي مفردة الخمر بالمسكر في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾⁽⁶⁾، فقال: "من الدلائل الدالة على أن الخمر هو المسكر أن الأمة مجمعة على أن الآيات الواردة في الخمر ثلاثة، اثنان منها وردا بلفظ الخمر، أحدهما: هذه الآية والثانية: آية المائدة⁷، والثالثة: وردت في السكر، وهو قوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾⁽⁸⁾، وهذا يدل على أن المراد من الخمر هو المسكر؛ لأنه يجعل من يتناوله سكران. وهذا بيان مفردة الخمر بمفردة المسكر."⁽⁹⁾

المثال الرابع:

فسر الرازي مفردة الرجيم بالمرجوم في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾⁽¹⁰⁾ مستندا إلى القرآن الكريم فيما ذهب إليه، فقال رحمه الله: "وأما الرجيم فمعناه المرجوم، فهو فعيل بمعنى مفعول. كقولهم: كف خضيب أي مخضوب، ورجل لعين، أي ملعون، ثم في كونه مرجوما وجهان: الأول: أن كونه مرجوما كونه ملعونا من قبل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَإَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾⁽¹¹⁾، واللعن يسمى رجما. وحكى الله تعالى عن والد إبراهيم عليه السلام أنه قال له:

¹ سورة الجن، 19.

² مفاتيح الغيب (20/296).

³ سورة يونس، 85.

⁴ سورة يونس، 83.

⁵ مفاتيح الغيب (17/290).

⁶ سورة البقرة، 219.

⁷ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ سورة المائدة، 90.

⁸ سورة النساء، 43.

⁹ مفاتيح الغيب (6/398).

¹⁰ سورة النحل، 98.

¹¹ سورة الحجر، 34.

﴿لَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾²، وفي سورة يس ﴿لَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾³. والوجه الثاني: أن الشيطان إنما وصف بكونه مرجوماً؛ لأنه تعالى أمر الملائكة برمي الشياطين بالشهب والثواب طردا لهم من السموات، ثم وصف بذلك كل شرير متمرد⁽⁴⁾. وفي هذا - كما سبق - فسر الرجيم بالمرجوم الملعون، مستشهدا بأربع آيات، وموجها معنى ذلك بأمر ثلاثة هي:

1- اللعن من قبل الله.

2- الرجم بالقول.

3- الرمي بالشهب والثواب. وهذا يدل على إعمال الرازي لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الخامس:

فسر الرازي مفردة البيان بالقرآن في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁽⁵⁾، فقال رحمه الله: "وقد خرج ما ذكرنا أولاً أن البيان هو القرآن، وأعاده ليفصل ما ذكره إجمالاً بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، كما قلنا في المثال، حيث يقول القائل: علمت فلانا الأدب حملته عليه، وعلى هذا فالبيان مصدر أريد به ما فيه المصدر، وإطلاق البيان بمعنى القرآن على القرآن في القرآن كثير، قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾⁽⁶⁾، وقد سمى الله تعالى القرآن فرقاناً وبيانا، والبيان فرقان بين الحق والباطل، فصح إطلاق البيان، وإرادة القرآن⁽⁷⁾. وإطلاق البيان بمعنى القرآن على القرآن في القرآن كثير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾، قال الطبري بإسناده عن الحسن: "هذا القرآن"⁸.

المطلب الثاني: تفسير مفردة حسب سياقها

كان الرازي يفسر مفردات القرآن حسب السياق؛ لأن السياق كثيراً ما يحتاج إليه، ويعتمد عليه في بيان المفردات القرآنية. وفيما يلي بعض من الأمثلة على ذلك:

المثال الأول:

فسر الرازي مفردة الضمير بالسياق في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا﴾⁽⁹⁾، فقال: "الإندار: الإعلام بموضع المخافة، وقوله به قال ابن عباس والزجاج¹ بالقرآن. والدليل عليه قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ﴾

¹ سورة مريم، 46.

² سورة الشعراء، 116.

³ سورة يس، 18.

⁴ مفاتيح الغيب (71/1).

⁵ سورة الرحمن، 4-1.

⁶ سورة آل عمران، 138.

⁷ مفاتيح الغيب (338/29).

⁸ تفسير الطبري (7/ 232 ط التربية والتراث).

⁹ سورة الأنعام، 51.

إِلَى (2)، وقال الضحاك: وأندر به أي بالله، والأول أولى؛ لأن الإنذار والتخويف إنما يقع بالقول وبالكلام لا بذات الله تعالى (3). وحجة هذا التفسير الذي رجحه الرازي رحمه الله المذكورة في السياق على وجه الحصر، وهي اتباع القرآن والقرآن امتثالاً بالتخاويف البالغة، وهذا التخويف يحصل بالقول والكلام لا بذات الله.

المثال الثاني:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، "ثم إنه تعالى لما بين أنه حي قيوم أكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم، والمعنى: أنه لا يغفل عن تدبير الخلق؛ لأن القيم بأمر الطفل لو غفل عنه ساعة لاختل أمر الطفل، فهو سبحانه قيم جميع الأحداث، وقيوم الممكنات، فلا يمكن أن يغفل عن تدبيرهم، فقوله: لا تأخذه سنة ولا نوم كالتأكيد لبيان كونه تعالى قائماً، وهو كما يقال: لمن ضيع وأهمل: إنك لوسنن نائم، ثم إنه تعالى لما بين كونه قيوماً بمعنى كونه قائماً بذاته، مقوماً لغيره".⁴ فقد أفاد الرازي معملاً أصل تفسير المفردة بالسياق بأن الله بين معنى الحي القيوم، مؤكداً ذلك بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، ودعم ذلك بدليل عقلي مقنع.

المثال الثالث:

فسر الرازي مفردة "يسومونكم" في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (5) بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾؛ لأن السياق دل عليه، فقال: "ذكر في هذه السورة يذبحون بلا واو، وفي سورة إبراهيم ذكره مع الواو، والوجه فيه أنه إذا جعل قوله: يسومونكم سوء العذاب مفسراً بقوله: يذبحون أبناءكم، لم يحتج إلى الواو، وأما إذا جعل قوله: ﴿يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ مفسراً بسائر التكالييف الشاقة سوى الذبح، وجعل الذبح شيئاً آخر سوى سوء العذاب، احتج فيه إلى الواو، وفي الموضعين يحتمل الوجهين (6)". وهذا فيه تفسير لمفردة السوم بالذبح، وربط لللاحق بالسابق، وتطرق إلى ما ورد في السورتين المختلفتين متشابهاً، وفرق بينهما من حيث المعنى.

المثال الرابع:

فسر الرازي مفردة النعمة على عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ بأمور مذكورة بعدها في الآية نفسها: فقال: "واعلم أن الله تعالى فسر نعمته عليه بأمور: أولها: قوله: ﴿إِذْ أَيْدِيكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾... (7) كأنه أضافه إلى نفسه تعظيماً له. وثانيها: قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، أما

¹ هو إبراهيم بن محمد بن السري أبو إسحاق الزجاج البغدادي الإمام، نحوي زمانه، ومن مؤلفاته (معاني القرآن) ولزم المبرد. مات، سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، وقيل، مات في تاسع عشر جمادى الآخرة، سنة عشرة. انظر، سير أعلام النبلاء (360/14)، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تحقيق حسين أسد وجماعة، (ط3)، مؤسسة الرسالة.

² سورة الأنعام، 50.

³ مفاتيح الغيب (539/12).

⁴ المصدر السابق (8/7).

⁵ سورة البقرة، 149.

⁶ مفاتيح الغيب (506/3).

⁷ سورة المائدة، 110.

كلام عيسى في المهد فهو قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ﴾⁽¹⁾، وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، ورابعها: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾⁽²⁾. ولا شك أن التأييد بروح القدس، والتمكين من الكلام وهو في المهد وكهلاً بلا تفاوت، وتعليم الكتاب والحكمة، والخلق على هيئة الطير من الطين بإذن الله من مظاهر نعمة الله على عيسى عليه السلام؛ فيلاحظ أنه تعالى أمر بذكر النعم في هذه الآية مجملاً، ثم فصل فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾⁽³⁾. وهذا من تفسير المفردة بالسياق.

المطلب الثالث: تفسير مفردة بآية

إن تفسير مفردة بآية من أشهر وجوه تفسير القرآن بالقرآن؛ فقد أعمل الرازي هذا الوجه في تفسيره ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول:

قال الرازي: قوله تعالى: ﴿وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾⁽⁴⁾، "قال عطاء⁵ عن ابن عباس: يريد الميتة والدم، وما ذكر في سورة المائدة إلى قوله: ذلكم فسق⁶. وأقول: كل ما يستخبه الطبع، وتستقذره النفس كان تناوله سبباً للألم، والأصل في المضار الحرمة؛ فكان مقتضاه أن كل ما يستخبه الطبع فالأصل فيه الحرمة إلا للدليل منفصل⁽⁷⁾"، فسر الخبائث بالميتة والدم وغيرهما مما حرم في آية المائدة تفسيراً للمفردة بالآية، وبين أن الأصل في كل ما يستخبه الطبع الحرمة إلا إذا دل دليل يجب التسليم له على خلاف ذلك.

المثال الثاني:

ذكر الرازي رحمه الله تفسير مفردة بآية ضمناً في قوله: "وما طلبت الاقتداء بالصالحين طلبت الاقتداء بالجميع، فقلت: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وما طلبت الفرار من المردودين؛ فررت من الكل، فقلت: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فلما لم أفارق الأنبياء والصالحين في الدنيا فأرجو أن لا أفارقهم في القيامة، قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾⁽⁸⁾ (9). فسر هنا المنعم عليهم بالأنبياء والصالحين وغيرهم في آية النساء، وفي هذا بيان لوجوب سلوك الطريق المؤدي إلى النعمة، ووجوب اجتناب الطريق المفضي إلى غضب الله والضلالة.

¹ سورة مريم، 30.

² انظر، مفاتيح الغيب (12/ 459-458)

³ المائدة، 116.

⁴ الأعراف، 157.

⁵ عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي من الموالى وروى عن كثير من الصحابة منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه. وهو كما قال الذهبي، "الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم". انظر سير أعلام النبلاء (5/ 78-79)

⁶ قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلُ لُغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَضَّةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ، ذَلِكَ فِسْقٌ﴾ سورة المائدة، 3.

⁷ مفاتيح الغيب (15/ 381).

⁸ سورة النساء، 69.

⁹ مفاتيح الغيب (1/ 219-220).

المثال الثالث:

فسر الرازي مفردة الظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾¹ بالشرك في آية لقمان حكاية عن لقمان ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾²، فقال: "المراد هاهنا الذين آمنوا بالله، ولم يثبتوا لله شريكا في المعبودية. والدليل على أن هذا هو المراد أن هذه القصة من أولها إلى آخرها إنما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد، وليس فيها ذكر الطاعات والعبادات، فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك"³. فحمل الرازي هنا مفردة الظلم على الشرك بناء على ما دلت عليه آية لقمان. ولا شك أن هذا إعمال لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الرابع: تفسير مفردة حسب سياقاتها الكلية في القرآن

كان الرازي يفسر مفردة قرآنية بذكر استعمالاتها وسياقاتها المذكورة في كتاب الله؛ ليكون ذلك نوعا من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأول:

فسر الرازي مفردة المولى بالناصر القائم بإصلاح مهمات الكل في مساقات متعددة من القرآن، فقال: "وفي قوله: ﴿أَنْتَ مُوَلَّانَا﴾ فائدة أخرى؛ وذلك أن هذه الكلمة تدل على نهاية الخضوع والتذلل والاعتراف بأنه سبحانه هو المتولي لكل نعمة يصلون إليها، وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها، فلا جرم أظهروا عند الدعاء أنهم في كونهم متكلمين على فضله وإحسانه بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته إلا بتدبير قيمه، والعبد الذي لا ينتظم شمل مهماته إلا بإصلاح مولاه، فهو سبحانه قيوم السموات والأرض، والقائم بإصلاح مهمات الكل، وهو المتولي في الحقيقة للكل، على ما قال: ﴿نَعَمْ الْمَوْلَىٰ وَنَعَمْ النَّصِيرُ﴾⁽⁴⁾، ونظير هذه الآية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽⁵⁾ أي ناصرهم، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾⁽⁶⁾؛ أي ناصره، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾⁽⁷⁾⁽⁸⁾. وفي هذا تفسير لمفردة المولى بسياقات أربعة في آيات مختلفة، وهذا من إعمال الرازي لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

¹ سورة الأنعام، 82

² سورة لقمان، 13

³ مفاتيح الغيب (13/49)

⁴ سورة الأنفال، 40.

⁵ سورة البقرة، 257.

⁶ سورة التحريم، 4.

⁷ سورة محمد، 11.

⁸ مفاتيح الغيب (7/125).

المثال الثاني:

فسر الرازي مفردة الإضلال في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾¹ بالدعاء إلى ترك الدين، وذكر استعمالات قرآنية تحمل في طياتها هذا المعنى، فقال: "فَاعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى الْإِضْلَالِ عَنِ الدِّينِ فِي اللُّغَةِ هُوَ الدَّعَاءُ إِلَى تَرْكِ الدِّينِ، وَتَقْيِيحُهُ فِي عَيْنِهِ، وَهَذَا هُوَ الْإِضْلَالُ الَّذِي أَضَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (2)، وَقَالَ: ﴿وَلَا ضَلَالَةَ لَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ﴾ (3)، وَقَالَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا لِلَّذِينَ أُضِلُّوا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ (4)، وَقَالَ: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (5)، وَقَالَ الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (6)، وَأَيْضًا أَضَافَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْإِضْلَالَ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَ: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (7) (8). وفي هذا تفسير مفردة الإضلال في سياقات خمسة، ثلاثة منها بلفظ الإضلال، واثنان منها عبر عن الإضلال بالصد عن السبيل والاستجابة إلى دعوة الداعي إلى الضلال. وفي هذا إعمال لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثالث:

فسر الرازي مفردة الزكاة بالتطهر، وذكر استعمالاتها الواردة في القرآن فقال: "وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (9)؛ أي تطهر وقال: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ (10)، وقال: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ (11). هنا فسر مفردة التزكي بالتطهر، واستشهد لذلك بثلاث آيات في سياقات مختلفة؛ فظهر من خلال ذلك إعماله لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الرابع:

فسر الرازي مفردة الظن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾¹³، فقال: "إن الظن بمعنى العلم. قالوا؛ لأن الظن وهو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض يقتضي أن يكون صاحبه غير جازم بيوم القيامة، وذلك كفر، والله تعالى مدح على هذا الظن، والمدح على الكفر غير جائز، فوجب أن يكون المراد من الظن هاهنا العلم، وقال تعالى: ﴿إِنِّي

1 سورة البقرة، 26.

2 سورة القصص، 15.

3 سورة النساء، 119.

4 سورة فصلت، 29.

5 سورة النمل، 24 العنكبوت، 38.

6 سورة إبراهيم، 22.

7 سورة طه، الآية: 79.

8 مفاتيح الغيب (2/366).

9 سورة الأعلى، الآية: 14.

10 سورة النور، الآية: 21.

11 سورة فاطر، الآية: 18.

12 مفاتيح الغيب (3/486).

13 سورة البقرة، الآية: 46.

ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقَ حَسَابِيهِ ⁽¹⁾، وقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ⁽²⁾، ذكر الله تعالى ذلك إنكاراً عليهم، وبعثنا على الظن، ولا يجوز أن يبعثهم على الاعتقاد المجوز للنقيض، فثبت أن المراد بالظن هاهنا العلم ⁽³⁾. وفي هذا علة حمل الظن على العلم هنا، وفيه إعمال الرازي لأصل تفسير القرآن بالقرآن، واستشهاده لذلك بسياقين مختلفين.

المطلب الخامس: تفسير المفردة ببيان معانيها المحتملة وشواهدا من القرآن.

كان الرازي أحياناً يذكر كل المعاني التي تحملها المفردة، ثم يحاول أن يستشهد لكلها أو لبعضها بآية أخرى تتعلق - بطريقة أو أخرى - بالمفردة المراد بيان معناها. ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المثال الأول:

ذكر الرازي لمفردة كتب أربعة معان، فقال: "فيه وجوه أحدها: أن كتب في هذا الموضوع بمعنى جعل، كقوله: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ⁽⁴⁾؛ أي جعل، وقوله: ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ⁽⁵⁾، ﴿فَسَاكَبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ⁽⁶⁾؛ أي أجعلها. وثانيها: معناه قضى الله لكم، كقوله: ﴿قُلْ لَنْ يَصْبِيَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ⁽⁷⁾ أي قضاه، وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ⁽⁸⁾، وقوله: ﴿لَيَرْزُقْنَا الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ﴾ ⁽⁹⁾ أي قضى، وثالثها: أصله هو ما كتب الله في اللوح المحفوظ مما هو كائن، وكل حكم حكم به على عباده فقد أثبتته في اللوح المحفوظ، ورابعها: هو ما كتب الله في القرآن من إباحة هذه الأفعال ⁽¹⁰⁾. يلاحظ أن الرازي ذكر كل المعاني التي رأى أن الآية تحملها، واستشهد لبعض منها بالآيات القرآنية. ولا أن هذا الصنيع يدل على اعتماده على أصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثاني:

ذكر الرازي لمفردة الوحي معاني، فقال: "واعلم أن الوحي قد ورد في حق الأنبياء لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَبِشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ ⁽¹¹⁾، وفي حق الأولياء أيضاً قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ ⁽¹²⁾، وبمعنى الإلهام في حق قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ ⁽¹³⁾، وفي حق سائر الحيوانات كما في قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ⁽¹⁾، ولكل

1 سورة الحاقة، الآية: 20.

2 سورة المطففين، الآية: 4.

3 مفاتيح الغيب (491/3).

4 سورة المجادلة، 22.

5 سورة آل عمران، 53.

6 سورة الأعراف، 156.

7 سورة التوبة، 51.

8 سورة المجادلة، 21.

9 سورة آل عمران، 154.

10 مفاتيح الغيب (272/5).

11 سورة الشورى، 51.

12 سورة المائدة، 111.

13 سورة القصص، 7.

واحد من هذه الأقسام معنى خاص. والله أعلم⁽²⁾. وفي هذا تصريح منه ببعض معاني الوحي، وإشارة إلى بعضها مع شواهدا؛ لتقرر المعاني المحتملة بأدلتها القرآنية، ويظهر من هذا إعمال فخر الدين لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثالث:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾³، قال القفال: والنصر يراد به المعونة كقوله: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً⁴، ومنه معنى الإغاثة: تقول العرب: أرض منصورة أي مطورة، والغيث ينصر البلاد إذا أنبتا فكأنه أغاث أهلها، وقيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾⁵؛ أي أن لن يرزقه كما يرزق الغيث البلاد، ويسمى الانتقام نصرة وانتصاراً، قال تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾⁶، قالوا معنا: فانتقمنا له، فقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾⁷، يحتمل هذه الوجوه، فإنهم يوم القيامة لا يغاثون، ويحتمل أنهم إذا عذبوا لم يجدوا من ينتقم لهم من الله⁽⁷⁾. وذكر من معاني النصر المحتملة وجهين، واستشهد لهما من كتاب الله، وبأن من ذلك إعماله لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الرابع:

ذكر الرازي لمفردة الروح خمسة معان فقال: "أما قوله وروح منه ففيه وجوه: الأول: ما كان في غاية الطهارة والنظافة، مثل عيسى عليه السلام؛ لأنه لم يتكون من نطفة الأب، وإنما تكون من نفخة جبريل عليه السلام لا جرم وصف بأنه روح، والثاني: أنه كان سببا لحياة الخلق في أديانهم كالقرآن قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾⁽⁸⁾، الثالث: ما كان بمعنى رحمة من الله، قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾⁽⁹⁾ أي برحمة منه، فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم لا جرم سمي روحا منه. الرابع: أن الروح هو النفخ في كلام العرب، فإن الروح والريح متقاربان، فالروح عبارة عن نفخة جبريل، وقوله منه يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه فهو منه، وهذا كقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾⁽¹⁰⁾، الخامس: قوله روح أدخل التنكير في لفظ روح، وذلك يفيد التعظيم، فكان المعنى: وروح من الأرواح الشريفة القدسية العالية، وقوله منه إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم¹¹. يلاحظ أن الرازي ذكر لمفردة الروح المعاني المحتملة، واستشهد لكثير منها، ودل ذلك على أنه كان يعمل أصل تفسير القرآن بالقرآن.

1 سورة النحل، 68.

2 مفاتيح الغيب (236/20).

3 سورة البقرة، 48.

4 أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك (3/128).

5 سورة الحج، 15.

6 سورة الأنبياء، 77.

7 مفاتيح الغيب (3/495).

8 سورة الشورى، 52.

9 سورة المجادلة، 22.

10 سورة الأنبياء، الآية: 91.

11 مفاتيح الغيب (11/271).

المثال الخامس:

ذكر الرازي لمفردة القضاء خمسة معان، هي: الأول الخلق، ودل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾¹ يعني خلقهن. وثانيها: الأمر، ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾⁽²⁾. وثالثها: الحكم، ولهذا يقال للحاكم: القاضي. ورابعها: الإخبار، ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾⁽³⁾ أي أخبرناهم، وهذا يأتي مقرونا بلإلى. وخامسها: الفراغ من الشيء، ودل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ وَكَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾⁽⁴⁾ يعني لما فرغ من ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ الْأَمْرَ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ﴾⁽⁵⁾ يعني فرغ من إهلاك الكفار، وقوله تعالى: ﴿لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾⁽⁶⁾ بمعنى ليفرغوا منه، إذا عرفت هذا فنقول: قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾⁽⁷⁾. قيل: إذا خلق شيئاً، وقيل: حكم بأنه يفعل شيئاً، وقيل: أحكم أمراً⁽⁸⁾. وفي هذا ذكر لحامل القضاء، وتعرض لشواهدا من الآيات القرآنية، وفيه دليل على اهتمام الرازي بأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال السادس:

ذكر الرازي لمفردة النظر أربعة معان، فقال: قال أبو علي الفارسي⁹ لفظ النظر يستعمل على ضروب، أحدها: أن تريد به نظرت إلى الشيء، فيحذف الجار ويوصل الفعل، وثانيها: أن تريد به تأملت وتدبرت، ومنه قولك: اذهب فانظر زيدا أيؤمن، فهذا يراد به التأمل، ومنه قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾⁽¹⁰⁾، ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾⁽¹¹⁾ ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾⁽¹²⁾ قال: وقد يتعدى هذا بلإلى كقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ﴾⁽¹³⁾، وهذا نص على التأمل، وبين وجه الحكمة فيه، وقد يتعدى بفي، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽¹⁴⁾، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾⁽¹⁵⁾. وثالثها: أن يراد بالنظر الرؤية كما في قوله:

1 فصلت، 12.

2 الإسراء، 23.

3 المصدر السابق، 4.

4 الأحقاف، 29.

5 هود، 44.

6 الحج، 29.

7 آل عمران، 47.

8 انظر، مفاتيح الغيب (4/25).

9 أبو علي الفارسي، هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي، إمام النحو، صاحب التصانيف ومنها "الحجة للقراء السبعة" مات سنة 377 هـ. انظر، سير أعلام النبلاء (16/379).

10 الإسراء، 48.

11 النساء، 50.

12 الإسراء، 21.

13 الغاشية، 17.

14 الأعراف، 185.

15 الروم، 8.

ولما بدا حوران والآل دونه ... نظرت فلم تنظر بعينك منظرًا¹

والمعنى نظرت، فلم تر بعينك منظرًا تعرفه في الآل، قال: إلا أن هذا على سبيل المجاز؛ لأنه دلت الدلائل على أن النظر عبارة عن تقلب الخدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، فلما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه غالباً أجرى على الرؤية لفظ النظر على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب. ورابعها: أن يكون النظر بمعنى الانتظار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَّهُ﴾ (2) أي غير منتظرين إدراكه وبلوغه، وعلى هذا الوجه يكون نظرت معناه انتظرت، ومجيء فعلت وافتعلت بمعنى واحد كثير، كقولهم: شويت واشتويت، وحقرت واحتقرت، إذا عرفت هذا فقولهم: انظرونا يحتمل وجهين: الأول: انظرونا، أي انتظرونا؛ لأنه يسرع بالمؤمنين إلى الجنة كالبروق الخاطفة، والمنافقون مشاة، والثاني: انظرونا أي انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، والنور بين أيديهم فيستضيئون به (3). وفي هذا معاني النظر المحتملة بشواهد معظمها من القرآن الكريم. ويلاحظ تداخل في النظر بمعنى الرؤية والتأمل. فالأصل في النظر بمعنى الرؤية التعدي بـ "إلى"، وبمعنى التأمل التعدي بـ "في". والمفهوم من توجيه الرازي أن النظر بمعنى الرؤية أحياناً يتعدى تعدي التأمل، والنظر بمعنى التأمل أحياناً يتعدى تعدي النظر.

المطلب السادس: تفسير مفردات القرآن بالقراءات

أولاً: تعدد القراءات مع اتفاق المعنى

أورد الرازي قراءتين أو أكثر لبيان مفردة واحدة، إلا أن المعنى في هذا الباب لا يختلف باختلاف القراءات.

المثال الأول:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (4): "قرأ أبو عمرو⁵ وابن المنادي⁶ بالنون وكسر الفاء. وثانيها: قرأ نافع⁷ بالياء وفتحها. وثالثها: قرأ الباقون من أهل المدينة وجبل¹ عن المفضل² بالتاء

¹ قاله امرؤ القيس هكذا، فلما بدت حوران في الآل دوخا ... نظرت فلم تنظر بعينك منظرًا
ديوان امرئ القيس (ص 95)، لامرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني أكل المرار (ت 545 م)، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، (ط 2)، دار المعرفة - بيروت.

² سورة الأحزاب، 53.

³ انظر، مفاتيح الغيب (456/29-457)، والحجة للقراء السبعة (6/273-272)

⁴ سورة البقرة، 58.

⁵ قال ابن حجر، "أبو عمرو ابن العلاء ابن عمار ابن العريان المازني النحوي القارئ اسمه زبان أو العريان أو يحيى أو جزء بفتح الجيم ثم زاي ثم همزة والأول أشهر والثاني أصح عند الصولي ثقة من علماء العربية من الخامسة مات سنة أربع وخمسين وهو ابن ست وثمانين سنة". تقريب التهذيب (ص 660)

⁶ هو أحمد بن جعفر بن المحدث أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن أبي داود بن المنادي الإمام المقرئ الحافظ البغدادي. وعدة. قال الداني، أخذ القراءة عرضاً، ومات سنة ست وثلاثين وثلاث مائة. انظر، سير أعلام النبلاء (15/361-362).

⁷ قال ابن حجر، "نافع ابن عبد الرحمن ابن أبي نعيم القارئ المدني مولى بني ليث أصله من أصبهان وقد ينسب لجده صدوق ثبت في القراءة من كبار السابعة مات سنة تسع وستين". تقريب التهذيب (ص 558)

وضمها وفتح الفاء، ورابعها: الحسن وقتادة وأبو حيو³ والجحدري⁴ بالياء وضمها وفتح الفاء⁵. قال القفال⁶: "والمعنى في هذه القراءات كلها واحد؛ لأن الخطيئة إذا غفرها الله تعالى فقد غفرت، وإذا غفرت فإنما يغفرها الله⁽⁷⁾". فذكر ذلك؛ لأن الغافر هو الله سواء ذكر الفاعل أو لم يذكر، وفي هذا إعمال لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثاني:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِرَ الْجِبَالُ﴾⁸: "قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر¹⁰ تسير على فعل ما لم يسم فاعله الجبال بالرفع بإسناد تسير إليه اعتباراً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾⁽¹⁾، والباقون نسير بإسناد فعل التسير إلى

¹ جبلة بن مالك بن جبلة بن عبد الرحمن أبو أحمد الكوفي، وقيل فيه: ابن أبي مالك، وقيل: ابن خالد من أهل الضبط، قرأ على المفضل بن محمد الضبي، وسمع منه الحروف أيضاً، وهو مشهور عنه. غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 190)، لشمس الدين محمد بن محمد بن يوسف، ابن الجزري، (ت 833هـ)، (ط1)، مكتبة ابن تيمية.

² هو المفضل بن محمد الضبي الكوفي المقرئ، أبو محمد. كان من جلة أصحاب عاصم بن مهدي، قرأ عليه. وتصدر للإقراء. توفي سنة ثمان وستين ومائة. انظر، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص79)، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، (ط1)، دار الكتب العلمية.

³ هو شريح بن يزيد أبو حيو الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام، وهو أحد الثلاثة الذين سموا لأبي عبيد، ونسي اسمه قاله الداني عن شيخه أبي الفتح، وهذا هو الصحيح. والله أعلم، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وهو والد حيو بن شريح الحافظ، وله اختيار في القراءة. مات في صفر سنة ثلاث ومائتين غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 325)

⁴ عاصم بن أبي الصباح العجاج وقيل ميمون أبو المجشر بالميم والشين المجمة مشددة مكسورة الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس. قيل: مات قبل الثلاثين ومائة، وقيل سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر، غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 349)

⁵ قال أبو زرعة ابن زنجلة: "قرأ نافع يغفر لكم بالياء وفتح الفاء على ما لم يسم فاعله خطاياكم في موضع رفع؛ لأنه مفعول ما لم يسم فاعله، وحجته في الياء أن الفعل متقدم وقد حيل بينه وبين الخطايا ب لكم فصار الحائل كالعوض من التائب، وحجة أخرى وهي أن الخطايا جمع وجمع ما لا يعقل يشبه بجمع ما يعقل من النساء كما قال، وقال (نسوة في المدينة) فلما ذكر فعل جميع النساء ذكر فعل الخطايا ونحوه أم هل يستوي الظلمات، وقرأ ابن عامر تغفر بالياء، وقد ذكرنا إعرابها وحجته في التاء أنه فعل متقدم نحو قوله: قالت الأعراب، وقرأ الباقر يغفر بالثون، وحجته في ذلك أن يغفر بين خبرين من أخبار الله عن نفسه قد أخرجنا بالثون، وذلك قوله (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية)؛ فخرج ذلك بالثون، ولم يقل: وإذا قيل فيقال تغفر ويغفر، والآخر قوله: (وسيزيد المحسنين)، ولم يقل: وسيزاد المحسنون. وأعلم أن من قرأ يغفر فهو يقول أيضاً إلى هذا المعنى، فيعلم من الفحوى أن ذنب الخلاق وخطاياهم لا يغفره إلا الله، ويقوي هذا قوله: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) حجة القراءات (ص، 97-98)، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد، ابن زنجلة (ت حوالي 403 هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

⁶ قال الذهبي: "القفال الشاشي محمد بن علي بن إسماعيل الإمام، العلامة، الفقيه، الأصولي، اللغوي، عالم خراسان، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال الكبير، إمام وقته، بما وراء النهر، وصاحب التصنيف. قال الحاكم: كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث. سمع أبا بكر بن خزيمة، وابن جرير الطبري، وعبد الله بن إسحاق المدائني، ومحمد بن محمد الباغندي، وأبا القاسم البغوي، وأبا عروبة الخرائي، وطبقته. قال الشيخ أبو إسحاق في (الطبقات)، توفي سنة ست وثلاثين. سير أعلام النبلاء". (16/ 283).

⁷ مفاتيح الغيب (3/ 524).

⁸ سورة الكهف، 47.

⁹ هو عبد الله ابن كثير الداري المكي أبو معبد القاري أحد الأئمة، توفي سنة عشرين ومائة، انظر، تقريب التهذيب (ص318).

¹⁰ هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصي بن تميم، الإمام الكبير، مقرئ الشام، وأحد الأعلام، أبو عمران اليحصي، الدمشقي، مات يوم عاشوراء، سنة ثمان عشرة ومائة. انظر، «سير أعلام النبلاء» (5/ 293-292).

نفسه تعالى والجبال بالنصب؛ لكونه مفعول نسير²، والمعنى نحن نفعل بها ذلك اعتباراً بقوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾³، والمعنى واحد؛ لأنها إذا سيرت فمسيرها ليس إلا الله سبحانه⁽⁴⁾. فنسب التسيير إلى ذاته المقدسة في قراءة، وأشار إليه بما لم يسم فاعله؛ للعلم به. وفي هذا بان اعتماد الرازي على أصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثالث:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبَعَكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾⁽⁵⁾: "قرأ أبو عمرو ويعقوب⁶ رشداً بفتح الراء والشين، وعن ابن عباس رضي الله عنهما بضم الراء والشين، والباقون بضم الراء وتسكين الشين⁷. قال القفال: وهي لغات في معنى واحد، يقال: رشد ورشد مثل نكر ونكر، كما يقال: سقم وسقم، وشغل وشغل، وبخل وبخل، وعدم وعدم⁽⁸⁾". وليس هناك فرق بين القراءتين من حيث المعنى. وفي هذا بان اعتماد الرازي على أصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الرابع:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾⁽⁹⁾: (وقرأ ابن وثاب¹⁰ والأعمش¹ وحمزة² نسياً بالفتح، والباقون نسياً بالكسر، قال الفراء³: هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر⁴، وقرأ مجاهد بن كعب القرظي⁵

¹ سورة التكويد، 3.

² قال أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري: "قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر (ويوم نسير الجبال) بضم التاء وفتح الياء، (الجبال) بالرفع. وقرأ الباقر (ويوم نسير) بالنون المضمومة وكسر الياء (الجبال) بالنصب". المبسوط في القراءات العشر (ص، 279-278)، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، (ت 381هـ)، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق.

³ (سورة الكهف: آية 47).

⁴ مفاتيح الغيب (469/21).

⁵ سورة الكهف، 66.

⁶ هو يعقوب الحضرمي أبو مجاهد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمي، وكان رحمه الله من الأئمة القراء الكبار، ومات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين في أيام المأمون. انظر، طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم (ص 99-100)، لعبد الوهاب بن يوسف، ابن السلاسل الشافعي (ت 782هـ)، تحقيق أحمد مجاهد عزوز، (ط1)، المكتبة العصرية - صيدا بيروت.

⁷ قال شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، "واختلفوا في"، (مما علمت رشداً) فقرأ البصريان بفتح الراء والشين، وقرأ الباقر بضم الراء، وإسكان الشين "النشر في القراءات العشر (2/ 311)، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، (833هـ)، تحقيق علي مجاهد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

⁸ مفاتيح الغيب (483/21).

⁹ سورة مريم، 23.

¹⁰ هو يحيى بن وثاب، هو يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي التابعي القارئ العابد أحد الأعلام، مولى بني أسد روى عن ابن عباس وابن عمر - رضي الله عنهم - وعن مسروق وعبيدة السلماني وزر، وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي عمرو الشيباني وعلقمة والأسود، وثبت أنه قرأ القرآن كله على عبيد بن نضيلة صاحب علقمة كل يوم الآية. قال أبو بكر بن عياش عن عاصم، قال، تعلم يحيى بن وثاب من عبيد بن نضيلة الآية: الآية، وكان والله قارئاً، توفي سنة ثلاث ومائة. انظر، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص 33)

نسيئاً بالهمزة، وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه أهله لقلته، وقرأ الأعمش منسيا بالكسر على الإبتاع كالمعير والمنخر والله أعلم⁽⁶⁾. والمقصود هنا ذكر (نسيا) فتحاً وجراً دون التفريق بينهما في المعنى، وهذا دليل على أن المعنى واحد، وأما (نسيئاً) فالظاهر - والله أعلم أن المعنى يختلف في حمله على الحليب المخلوط الذي ينسأه أهله علماً بأنني لم أعر على هذه القراءة وهي تبدو مخالفة للرسم.

المثال الخامس:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾⁷: "وقرأ ابن عامر وهمزة والكسائي⁸ ترجع بفتح التاء أي تصير⁹، كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾⁽¹⁰⁾، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾* إليه مرجعكم جميعاً⁽¹¹⁾، قال القفال رحمه الله: والمعنى في القراءةتين متقارب؛ لأنها ترجع إليه ﷻ، وهو ﷻ يرجعها إلى نفسه بإفناء الدنيا وإقامة القيامة⁽¹²⁾." فذكر ذلك، وعبر بتقارب المعنى؛ لأن رجوع الأمر إليه، أو رجعه الأمر إلى نفسه لا يختلفان من حيث وفي هذا إعمال لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

¹ هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الإمام الجليل، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة، منهم: إبراهيم النخعي وعاصم بن أبي النجود ويحيى بن وثاب ومجاهد بن جبر. مات في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر، غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 316-315)

² هو حمزة بن حبيب بن عماره التيمي ابن إسماعيل، الإمام، القنوة، شيخ القراءة، أبو عماره التيمي مولاهم، الكوفي، الزيات، مولى عكرمة بن ربعي. وتوفي في سنة ست وخمسين ومائة. انظر، سير أعلام النبلاء (7/ 92-90)

³ قال ابن حجر: "يحيى بن زياد ابن عبد الله الأسدي مولاهم الكوفي، نزيل بغداد الفراء النحوي المشهور، صدوق من التاسعة، مات سنة سبع ومائتين". تقريب التهذيب (ص590)

⁴ قال أبو زرعة ابن زنجلة: «قرأ حمزة وحفص (نسيا) بفتح النون مصدر نسيئ أنسى نسيا ونسيانا مثل غشيته غشياً وغشياناً، وقرأ الباقر (نسيا) بالكسر، وهو الاسم، وقال الفراء: هما لغتان، مثل الجسر والجسر والوتر والوتر. قال الأخفش النسي هو الشيء الحقيق ينسى نحو النعل. قال الزجاج: نسيا حيضة ملقاة، وقيل: نسيا في معنى منسية لا أعرف حجة القراءات". (ص441)،

⁵ قال ابن حجر: "محمد بن كعب ابن سليم ابن أسد أبو حمزة القرظي المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة ثقة عالم من الثالثة، ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم يثبت من سبي قريظة، مات محمد سنة عشرين، وقيل: قبل ذلك". تقريب التهذيب (ص504)

⁶ مفاتيح الغيب (21/526).

⁷ البقرة، 210.

⁸ علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي الكوفي، الإمام، شيخ القراءة والعربية، ولقب بالكسائي؛ لكسائه أكرم فيه. توفي بالري، بقرية أرنوبة، سنة تسع وثمانين ومائة، عن سبعين سنة. انظر، سير أعلام النبلاء (9/ 134-131)

⁹ قال أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري: "قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم (وإلى الله ترجع الأمور) بضم التاء وفتح الجيم كل القرآن، وقرأ ابن عامر وهمزة والكسائي ويعقوب وخلف (ترجع الأمور) بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن". المبسوط في القراءات العشر (ص146-145).

¹⁰ سورة الشورى، 53.

¹¹ سورة يونس، 4، سورة المائدة، 48، سورة الغاشية، 25.

¹² مفاتيح الغيب (5/362).

المثال السادس:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾⁽¹⁾ قرأ حمزة والكسائي هنا، وكذلك في الحجرات (فتبينوا) مَنْ ثَبَّتْ ثَبَاتًا، والباقون بالتون من البيان، والمعنيان متقاربان²، فمن رجح التثيبت، قال: إنه خلاف الإقدام، والمراد في الآية التأني وترك العجلة، ومن رجح التبئين، قال: المقصود من التثيبت التبئين، فكان التبئين أبلغ وأكمل⁽³⁾. فذكر تقارب المعنى؛ لأن الغرض في القراءتين التأكد. وفي هذا أصل تفسير القرآن بالقرآن.

ثانيا: تعدد القراءات مع تنوع المعنى

أورد الرازي قراءتين أو أكثر لبيان مفردة واحدة إلا أن المعنى في هذا الباب يتعدد بتعدد القراءات.

المثال الأول:

قال الرازي: قرأ حمزة والكسائي: ﴿سَتَغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ بالياء فيهما، والباقون بالتاء المنقطعة من فوق فيهما⁴، فمن قرأ بالياء المنقطعة من تحت، فالمعنى: بلغهم أنهم سيغلبون، ويدل على صحة الياء قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، و﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا﴾⁽⁶⁾، ولم يقل غضوا، ومن قرأ بالتاء فللمخاطبة، ويدل على حسن التاء قوله: ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ﴾⁽⁷⁾. والفرق بين القراءتين من حيث المعنى أن القراءة بالتاء أمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم، والقراءة بالياء أمر بأن يحكي لهم والله أعلم⁽⁸⁾. وبدا في هذا إعمال الرازي لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثاني:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾⁹: "اختلف القراء في ثلاثة مواضع من هذه الآية. أولها: في لفظ الولاية، ففي قراءة حمزة والكسائي بكسر الواو، وفي قراءة الباقيين بالفتح. وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كسر

¹ سورة النساء، 94.

² قال الحسين بن أحمد بن خالويه في قوله تعالى، (فَتَبَيَّنُوا) يقرأ بالياء من التبئين، وبالتاء من التثيبت هاهنا، وفي الحجرات والأمر بينهما قريب؛ لأن من تبين فقد تثبت، ومن تثبت فقد تبين". الحجة في القراءات السبع (ص126)

³ مفاتيح الغيب (189/11).

⁴ انظر: حجة القراءات (ص153)

⁵ سورة الجاثية، 14.

⁶ سورة النور، 30.

⁷ سورة آل عمران، 81.

⁸ مفاتيح الغيب (154/7).

⁹ سورة الكهف، 44.

الواو لحن، قال صاحب الكشاف: الولاية بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك⁽²⁾. ويتعدد القراءات استفيد معنيين: أحدهما النصرة والدين، والآخر السلطان. وبدا في هذا إعمال الرازي لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثالث:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿هَٰذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾³: "قرأ أبو عمرو والكسائي قوله: الحق بالرفع، والتقدير هنالك الولاية الحق لله، وقرأ الباقر بالجذر صفة لله^(4 5)". ولأشك أن المعاني تختلف أحياناً باختلاف الحركات التابعة لتعدد القراءات؛ فبناء على هذا يعد الحق صفة لله على قراءة، وصفة للولاية على قراءة أخرى. وبدا في هذا إعمال الرازي لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

المثال الرابع:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَنْتُهَا عَلَيْكُمْ﴾⁶: "قرأ ابن عامر وعاصم ونافع⁷ منزلها بالتشديد، والباقر بالتخفيف⁸، وهما لغتان نزل وأنزل، وقيل: بالتشديد أي منزلها مرة بعد أخرى، وبالتخفيف مرة واحدة".⁽⁹⁾ والتشديد دليل على أكثر من مرة، والتخفيف على مرة واحدة على أحد الأقوال. وفي هذا أصل لتفسير القرآن بالقرآن.

المثال الخامس:

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹⁰: "قرأ الكسائي وإن الله بكسر الألف على الاستئناف. وقرأ الباقر بفتحها¹¹ على معنى: وبأن الله، والتقدير: يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، والقراءة الأولى أتم وأكمل؛ لأن على هذه القراءة يكون الاستبشار بفضل الله وبرحمته

¹ قال أبو زرعة ابن زنجلة: "قرأ حمزة والكسائي {هنالك الولاية:} بكسر الواو أي السلطان والقدرة لله، وقرأ الباقر {هنالك الولاية:} بالفتح أي النصرة لله". حجة القراءات (ص418)

² مفاتيح الغيب (466/21)، و(517/15).

³ سورة الكهف، 44

⁴ قال أبو زرعة ابن زنجلة: "قرأ أبو عمرو والكسائي {هنالك الولاية:} بالضم جعلاً الحق نعتاً للولاية: أي الولاية: الحق لله أي لا يستحقها غيره، وقرأ الباقر (لله الحق) بالكسر جعلوا نعتاً لله، وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام، وكذلك الإله معناه ذو العبادة، وحجتهم قوله، (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) حجة القراءات (ص419)

⁵ مفاتيح الغيب (466/21).

⁶ سورة المائدة، 115

⁷ قال ابن حجر: "نافع ابن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الفارسي المدني، مولى بني ليث أصله من أصبهان، وقد ينسب لجده، صدوق ثبت في القراءة من كبار السابعة، مات سنة تسع وستين". تقريب التهذيب (ص558)

⁸ قال أبو زرعة ابن زنجلة: "قرأ نافع وابن عامر وعاصم (قال الله إني منزلها عليكم) بالتشديد من نزل ينزل". حجة القراءات (ص242)

⁹ مفاتيح الغيب (464/12).

¹⁰ آل عمران، 171

¹¹ قال أبو زرعة ابن زنجلة: "قرأ الكسائي (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) بكسر الألف على معنى والله لا يضيع أجر المؤمنين، وكذلك هي قراءة عبد الله والله لا يضيع، فهذا يقوي إن بالكسر، وقرأ الباقر (وأن الله) بالفتح، وهي في موضع خفض على النسق على (بنعمة من الله وفضل) المعنى: ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين". حجة القراءات (ص181)،

فقط، وعلى القراءة الثانية كون الاستبشار بالفضل والرحمة وطلب الأجر، ولا شك أن المقام الأول أكمل؛ لأن كون العبد مشغولاً بطلب الله أتم من اشتغاله بطلب أجر عمله⁽¹⁾. وفي هذا لطيفة، وهي أن الاشتغال بالله أكمل وأتم من الاشتغال بالاشتغال بثوابه؛ لأن من كان دافعه أجر الرب - والله أعلم - ربما لا يعمل إن لم يكن هناك أجر، وأما من دافعه رب الأجر فإنه يعمل إن وجد الأجر أو لم يوجد. وفي هذا إعمال لأصل تفسير القرآن بالقرآن.

هذه الأمثلة وغيرها التي أعملها فخر الدين تبين مدى عنايته في تفسيره بأصل وجوه تفسير مفردات القرآن بالقرآن.

الخاتمة

يمكن تلخيص أهم ما توصل إليه البحث في النقاط الآتية:

- إن مدار تفسير القرآن بالقرآن على القرآن؛ فلا يعلو على هذا النوع من التفسير تفسير، ولا يفوقه شرفاً وفضلاً.
- إن فخر الدين آية في تفسير القرآن بالقرآن؛ فقد بدا هذا في وجوه تفسير القرآن بالقرآن المختارة التي لا تعد إلا غيضاً من فيض ما أعمل في تفسيره.
- إن تفسير القرآن بالقرآن ظهر في العهد النبوي؛ لأن النبي - ﷺ - أعمل هذا الأصل؛ فلذلك تعد كتب السنة مصدراً من مصادر تفسير القرآن بالقرآن.
- إن الصحابة وتابعيهم - رضوان الله عليهم - من رواد تفسير القرآن بالقرآن.
- توجد أمثلة كثيرة لتفسير القرآن بالقرآن في كتب التفسير عموماً، وفي تفسير الطبري والثعلبي وابن كثير خصوصاً.

المصادر والمراجع

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم - دار ابن حزم.
- البيان في أيمان القرآن، لابن قيم (ت751هـ)، تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، دار عطاءات العلم.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، (ط2)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية.
- تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان الأزدي (ت150هـ) تحقيق عبد الله محمود شحاته، (ط1)، دار إحياء التراث - بيروت.
- تقريب التهذيب، لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق محمد عوامة، (ط1)، دار الرشيد - سوريا.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، دار التريّة والتراث - مكة المكرمة.
- الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط2)، دار الكتب المصرية - القاهرة.

¹ مفاتيح الغيب (431/9).

- حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن مُجَدِّد، ابن زنجلة (ت حوالي 403 هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- ديوان امرئ القيس، لامرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت 545 م)، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، (ط2)، دار المعرفة - بيروت.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ)، تحقيق حسين أسد وجماعة، (ط3)، مؤسسة الرسالة.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (ط4)، دار العلم للملايين - بيروت.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله، مُجَدِّد بن إسماعيل البخاري الجعفي، جماعة من العلماء، (ط السلطانية)، دار طوق النجاة - بيروت.
- طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، لعبد الوهاب بن يوسف، ابن السَّالار الشافعي (ت 782 هـ)، تحقيق أحمد مُجَدِّد عزوز، (ط1)، المكتبة العصرية - صيدا بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن يوسف، ابن الجزري، (ت 833 هـ)، (ط1)، مكتبة ابن تيمية.
- غريب القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت 427 هـ)، تحقيق عدد من الباحثين، (ط1)، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (511) لأبي البقاء أيوب بن موسى القريني، الحنفي (ت 1094 هـ)، تحقيق عدنان درويش ومُجَدِّد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- لسان العرب؛ لمحمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711 هـ)، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، (ط3)، دار صادر - بيروت.
- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، (ت 381 هـ)، تحقيق سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ)، تحقيق مُجَدِّد فواد سركين، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- المحصل، لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، (ط3)، مؤسسة الرسالة.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبي عبد الله مُجَدِّد بن أحمد بن عثمان بن قَاسِمَاز الذهبي (ت 748 هـ)، (ط1)، دار الكتب العلمية.
- مفاتيح الغيب، لفخر الدين أبي عبد الله مُجَدِّد بن عمر الرازي خطيب الري (ت 606 هـ)، (ط3)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين ابن تيمية (ت 728هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790هـ)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط1)، دار ابن عفان.

النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، (833هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

Romanization of references:

- Aḍwā' al-Bayān fī Ḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān, li-Muḥammad al-Amīn al-Shinqīṭī, Dār 'aṭā'at al-'Ilm-Dār Ibn Ḥazm.
- al-Tibyān fī Ḍmān al-Qur'ān, li-Ibn Qayyim (t751h), taḥqīq 'Abd Allāh ibn Sālim al-Baṭāṭṭī, Dār 'aṭā'at al-'Ilm.
- Tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm, li-Abī al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr al-Qurashī al-Dimashqī (t774h), taḥqīq Sāmī ibn Muhammad al-Salāmah, (t2), Dār Taybah lil-Nashr wa-al-Tawzī', al-Riyād – al-Sa'ūdiyyah.
- Tafsīr Muqātil ibn Sulaymān, Imqātil ibn Sulaymān al-Azdī (t 150h) taḥqīq 'Abd Allāh Maḥmūd Shihātah, (T1), Dār Ihyā' al-Turāth – Bayrūt.
- Taqrīb al-Tahdhīb, li-Abī al-Faḍl Ibn Hajar al-'Asqalānī (t 852h), taḥqīq Muḥammad 'Awwāmah, (T1), Dār al-Rashīd – Sūriyā.
- Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān, li-Abī Ja'far, Muhammad ibn Jarīr al-Tabarī (t310h), Dār al-Tarbiyah wa-al-Turāth-Makkah al-Mukarramah.
- al-Jāmi' li-ahkām al-Qur'ān li-Shams al-Dīn Abī 'Abd Allāh Muhammad ibn Ahmad al-Qurtubī (t671h), taḥqīq : Ahmad al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Attafayyish, (t2), Dār al-Kutub al-Miṣrīyah – al-Qāhirah.
- Hujjat al-qirā'at, li-Abī Zur'ah 'Abd al-Rahmān ibn Muhammad, Ibn znjlh (t Hawālī 403 H), taḥqīq Sa'īd al-Afghānī, Dār al-Risālah.
- Dīwān amri' al-Qays, lāmri' alqays ibn Hajar ibn al-Hārith al-Kindī, min Banī ākul almrār (t545 M), taḥqīq 'Abd al-Rahmān almsṭāwy, (t2), Dār al-Ma'rifah – Bayrūt.
- Siyar A'lām al-nubalā', li-Shams al-Dīn Muhammad ibn Ahmad ibn 'Uthmān al-Dhahabī (t748h), taḥqīq Husayn Asad wa-Jamā'at, (t3), Mu'assasat al-Risālah.
- al-Ṣihāh Taj al-lughah wa-ṣihāh al-'Arabīyah, li-Ismā'īl ibn Hammād al-Jawharī (t 393h), taḥqīq Ahmad 'Abd al-Ghafūr 'Attār, (t4), Dār al-'Ilm lil-Malāyīn – Bayrūt.
- Sahīh al-Bukhārī, li-Abī 'Abd Allāh, Muhammad ibn Ismā'īl al-Bukhārī al-Ju'fī, Jamā'at min al-'ulamā', (T al-sultānīyah), Dār Tawq al-najāh – Bayrūt.
- Tabaqāt al-qurrā' al-sab'ah wa-dhikr mnāqibhm wqrā'āthm, li-'Abd al-Wahhāb ibn Yūsuf, Ibn al-ṣllār al-Shāfi'ī (t 782h), taḥqīq Ahmad Muhammad 'Azzūz, (T1), al-Maktabah al-'Asrīyah-Saydā Bayrūt.
- Ghāyat al-nihāyah fī Tabaqāt al-qurrā', li-Shams al-Dīn Muhammad ibn Muhammad ibn Yūsuf, Ibn al-Jazarī, (t 833h), (T1), Maktabat Ibn Taymīyah.
- Gharīb al-Qur'ān, li-'Abd Allāh ibn Muslim ibn Qutaybah al-Dīnawarī (t 276h) taḥqīq Ahmad Saqr, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah
- al-Kashf wa-al-bayān 'an tafsīr al-Qur'ān, li-Ahmad ibn Ibrāhīm al-Tha'labī (t 427 H), taḥqīq 'adad min al-bāhithīn, (T1), Dār al-tafsīr, Jiddah-al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdiyyah.

al-Kulliyāt Mu‘jam fī al-muṣṭalahāt wa-al-furūq al-lughawīyah, (511) li-Abī al-Baqā’ Ayyūb ibn Mūsá alqrymy, al-Hanafī (t 1094h), tahqīq ‘Adnān Darwīsh wa-Muhammad al-Misrī, Mu’assasat al-Risālah – Bayrūt.

Lisān al-‘Arab ; li-Muhammad ibn Mukarram ibn ‘alá, Ibn manzūr al-Ansārī al-Ifriqī (t711h), tahqīq al-Yāzījī wa-Jamā‘at min al-lughawīyīn, (t3), Dār Šādir – Bayrūt.

al-Mabsūt fī al-qirā‘āt al-‘ashr, li-Abī Bakr Aḥmad ibn al-Husayn ibn mihrān alnysābwraá, (t 381h), tahqīq Subay‘ Hamzah ḥākymy, Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah – Dimashq.

Mujāz al-Qur‘ān, li-Abī ‘Ubaydah Mu‘ammar ibn al-Muthanná (t 209h), tahqīq Muḥammad Fu‘ād szgyn, Maktabat al-Khānjī – al-Qāhirah.

al-Mahsūl, li-Fakhr al-Dīn al-Rāzī (t 606 H), tahqīq : Tāhā Jābir Fayyād al-‘Alwānī, (t3), Mu’assasat al-Risālah.

Ma‘rifat al-qurrā’ al-kibār ‘alá al-Ṭabaqāt wāl’‘sār, li-Shams al-Dīn Abī ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān ibn qāymāz al-Dhahabī (t 748h), (T1), Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Mafātīh al-ghayb, li-Fakhr al-Dīn Abī ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Umar al-Rāzī Khaṭīb al-rayy (t 606h), (t3), Dār Ihyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt.

Mafātīh al-ghayb, li-Fakhr al-Dīn Abī ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Umar al-Rāzī Khaṭīb al-rayy (t 606h), (t3), Dār Ihyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Bayrūt.

Muqaddimah fī uṣūl al-tafsīr, li-Taḳī al-Dīn Ibn Taymīyah (t 728h), Dār Maktabat al-ḥayāh, Bayrūt, Lubnān.

al-Muwāfaqāt, li-Abī Ishāq Ibrāhīm ibn Mūsá ibn Muḥammad al-Lakhmī al-Shātībī (t 790 H), tahqīq Abū ‘Ubaydah Mashhūr ibn Hasan Āl Salmān, (T1), Dār Ibn ‘Affān.

al-Nashr fī al-qirā‘āt al-‘ashr, li-Shams al-Dīn Abī al-Khayr Ibn al-Jazarī, (833 H), tahqīq ‘Alī Muḥammad al-Dabbā’, al-Matba‘ah al-Tijārīyah al-Kubrā